نيافة المطران
إليـــاس عـــوده

التحق بالجامعة الأميركية في بيروت لدراسة الطب ثم الجامعة اللبنانية لينال الإجازة في الفلسفة، بعدها سافر إلى نيويورك حيث درس اللاهوت في معهد القديس فلاديمير. كما ترأس في الفترة نفسها لجنة الحوار المشتركة بين مجلس الكنائس العالمي والفاتيكان. ومن إنجازاته إعادة ترميم كنيسة القديس جاورجيوس في وسط المدينة بيروت.

نيافة المطران إليـــاس عــوده

أحبائـي؛ يقـول داوود النبـي فـي المزمـور الرابـع والعشـرين الآيـة الأولـى: "للـرب الأرض وملؤها المسكونة وكل الساكنين فيها"

إخوتي أخواتي الأحباء: أود أولا أن أشكر منظمي هذا المؤتمر العالمي للأخوة الإنسانية؛ لأننا أصبحنا بأمس الحاجة لتفكير الإنسان بإنسانيته هذه النعمة الإنسانية التي يتميز بها عن باقي مخلوقات الأرض لكن المؤسف في أيامنا أن الإنسان بات في غالبية الأحيان لا يتميز إلا بكونه ناطقا.

يقول الكتاب المقدس: وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا، فيتسلطون على سمك البحر، وعلى طير السماء، وعلى البهائم، وعلى كل الأرض، وعلى جميع الدبابات، التي تدب على الأرض. فخلق الإنسان على صورته ذكرا وأنثى خلقهم. وجاء في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا...﴾[الحجرات:13].

تجمع الآيات السابقة ذكرها بأن الله لم يخلق البشر من أجل أن يتذابحوا أو أن يتسلط واحدهم على الآخر، أو أن يعتبر نفسه أفضل من الآخر؛ بل خلقهم ليتعارفوا لتسود المحبة فيما بينهم، لأنهم خلقوا على صورته كشبهه؛ أي محبين لأن الله محبة، عندما خلق اللهُ الإنسانَ أعطاه سلطان أن يسود على كل الخليقة، ما عدا أخيه الإنسان.

التحديات والعقبات بدأت تحدث أمام تحقيق الأخوة الإنسانية منذ سولت لقابيل نفسه أن يقتل أخاه هابيل الذي اختار أفضل غلاته تقدمة للرب فيما لم يجد قابيل أنه أخطأ عندما قدم لله تقدمة من فضلات غلاته؛ فقرر أن يقتل أخاه بدل أن يصلح نفسه.

أليس هذا سلوك الإنسان تجاه أخيه؛ أن يقتل الإنسان أخاه لأتفه الأسباب. أن يقتل أخاه لكي يظهر قوته فيستعبد الآخرين؛ (سياسيا، اقتصاديا، تكنولوجيا، دينيا..) هذه حال الإنسان يلغي أخاه ليبرز هو. تدخل الوساطات فيطرد النزيه وذو الكفاءة فيما يوظف من ليس أهلا لذلك. تطلق الشائعات فتهدم مصادر رزق لتبنى إمبراطورية فاسدة، تخرق أنظمة معلوماتية لتنهب كنوز فكرية. البعض يتوسل الإيمان ليكفر المؤمنين. أليس الله واحدا؟ كيف أؤذي أخي؟ لكي أظهر أنايَ؛ أوَ ليس أخي الإنسان مخلوقا مثلي على الصورة والمثال الإلهيين مهما اختلف الشكل أو اللون أو العرق أو الانتماء الديني أو الطائفي؟ ألسنا جميعا مفطورين على المحبة؟

يقول أحد محبي الله الذي عاش معظم حياته في القرن الثاني عشر: "ثمة من يطلب المعرفة من أجل المعرفة هذا فضول وثمة من يطلب المعرفة في سبيل الشهرة هذا كبرياء، وثمة من يطلب المعرفة بدافع الخدمة هذه هي المحبة".

ويقول في مكان آخر: "اعترف أيها الإنسان بأنك صورة الله واخجل منه لأنك حجبت صورته بصورة غريبة". كلنا أخوة لأننا كلنا أبناء الله لكن الفرقة تسود والفتنة تبرز عندما نبتعد عن الله من أجل تحقيق مآرب ومصالح شخصية. و صدق من قال إن فتنة الإخوان هي عرس للشيطان. جهادنا جميعا يجب أن يكون ضد الشيطان الذي عمل منذ بدء الخليقة -ولا يزال- على رمي الفتنة بين الإنسان وخالقه، وبين الإنسان وأخيه لتنمية الكبرياء التي هي أم الخطايا حتى ظن الإنسان نفسه أفضل من أخيه؛ فعمل على إلغائه.

أنا أتيتكم من لبنان الحبيب مهد الحضارة والحرف والثقافة بلد الديمقراطية والحرية والتسامح حيث تختلط الطوائف المتعددة فيها الواحدة بالأخرى؛ يجمعها الحوار رغم بعض العثرات، فمنذ وسوس الشرير في رؤوس الناس واجتاحت موجة التكفير والتخوين عالمنا العربي وأشاع بعض المتدنيين شن الحروب الفاقدة الرحمة والمحبة في وجه بعضهم البعض أصابت العدوى

لبنان، وبسبب الانهيار السياسي أصبح اللبنانيون الإخوة في الوطن يرزحون تحت وطأه التراجع الاقتصادي والاجتماعي والفكري.

يقول قديس كنيستنا إذا انشغل الإنسان بخطاياه لن يجد الوقت ليدين سواها، إذا وعى كل منا هذا الأمر نخنق موجة التخوين قبل أن تولد، ويقول الرب: "لا تدينوا لكي لا تدانوا لو لم يكن عالمنا العربي يفتقد أدنى مقومات الأخوة وأعني المحبة لما كنا بحاجة إلى مؤتمرات عالمية كهذه للتذكير بهذه البديهيات. يا أحبة.. هنا يأتي دور الدين الذي أساسه الله الواحد ليكون المنبه والمذكر والمرتكز لإرساء ثقافة التآخي في مختلف المجتمعات الإنسانية بما أن الله واحد فكل مؤمن هو أخ للمؤمن الآخر. يقول الرسول يوحنا الإنجيلي في رسالته الأولى: إن قال أحد أني أحبُّ اللهَ وأبغضَ أخاه فهو كاذب؛ لأنه من لا يحب أخاه الذي أبصره كيف يحب الله الذي لم يبصره. وجاء في القرآن الكريم "إنما المؤمنون إخوة". محبة الإنسان لكل إنسان هي طريق مضمون نحو الله و المحبة لا تنفي فرادة الإنسان.

المحبة تدفع الإنسان إلى احترام الآخر المختلف إذا عمل كل القادة الآدميين والسياسيين على بث روح المحبة أصبح الجميع إخوة لأب واحد هو الله.

هذا ما تحاول دولة الإمارات العربيه المتحده القيام به، وقد أصبحت في طليعة البلدان العربية الداعية إلى المحبة والتسامح. وتقبل فرادة الآخر من خلال إنشاء وزارة خاصة بالتسامح أو من خلال مؤتمرات التوعية وآخرها ما نشهده حاليا.

كنيستنا الأرثوذكسية الأنطاكية التي تشكل أبرشيتنا في بيروت إحدى ركائزها ليست بعيدة عن هذه الروح لأن كنيستنا كانت منذ أسسها الرسول بطرس بولس ولا تزال في أيامنا تدعو إلى المحبة والأخوة بين البشر. وإلى التسامح وإلى احترام الآخر وقبوله واعتماد الحوار لحل الإشكالات. هنا لا بد من الإشارة إلى زيارة الحبر الأعظم البابا فرنسيس إلى هذا البلد الشقيق، وقداسته يعمل من جهته على بث روح المحبة والتآخي في الغرب المسيحي خصوصا وفي العالم أجمع.

ولا بد من ذكر الإمام الأكبر أ.د. أحمد الطيب شيخ الأزهر الشريف الذي عرفنا عن قرب روحانيته العميقة المتوشحة بالتواضع والمحبة التي لا حدود لها، التي تصل إلى كل إنسان من دون تمييز أو تحيز، يعلمنا الرب يسوع أن نحب قولا وفعلا لا قولا فحسب؛ لأنه فارغ، بل قولا وفعلا. هذا ما نطبقه من خلال تقديم المحبة الإلهية للجميع دون تفرقة، من خلال إطعام الجياع وكسوة العراة أو تنشئة الإنسان على القيم، وأهمها احترام الاختلاف والتنوع والحرية. نحن عبيد الله وحسب، والمواطنة من خلال المؤسسات التربوية والطبية والاجتماعية التي نؤسسها على المحبة والتسامح والإخاء.

ليس الدين نظريات ولا فلسفات، وليس كتباً معبأة عن المحبة؛ ليست نظريات أو كلاماً فقط؛ بل فعل محبة يظهره الإنسان تجاه أخيه الإنسان وأعني كل إنسان ملتصق به أو بعيد عنه. قال الرب يسوع في الإنجيل: تعالوا يا مباركي أبي رِثُوا الملكوت المعد لكم من تأسيس العالم؛ لأني جعت فأطعمتموني، عطشت فسقيتموني، كنت غريبا فآويتموني، عريانا فكسيتموني، مريضا فزرتموني، محبوسا فأتيتم إلي. قال الرب هذا؛ لكي يقول ما فعلتموه لأحد إخوتي هؤلاء الصغار بي قد فعلتموه.

لا نستطيع كقادة دينيين أن نطلق الآراء اللاهوتيه والنظرية والتنزيهيّة والفقهية والشرعية، والإنسان واقف أمامنا يشتهي لقمة العيش. المسيح نفسه قرن القول بالفعل؛ إذ كان يطعم الذين يأتون لسماع كلامه فكان يشبع أجسادهم وأرواحهم.

لا يمكننا إيصال حقيقة الله إلى الناس ما داموا يفتقرون إلى أدنى ضرورات الحياة. نعم؛ نحن أمام تحديات كبيرة، إنسان هذا القرن جائعٌ مهجَّرٌ مقهورٌ تائهٌ.. وأقول: هو سجين أيديولوجيات وعصبيات قبلية ودينية وطائفية لكنه لا يثور على واقعه المأساوي؛ بل جل ما يطالب به إبقاء زعيمه في كرسيه طالما يطعمه هذه الزعيم من الفتات الذي يفضل عن موائده. ولا يعلم أن هذا الزعيم يريد أن يجعله عبدا. ما يزيد المأساة؛ سوء استخدام جميع الوسائل التكنولوجية ووسائل التواصل الاجتماعي التي لم تعد أداة منفعة، بل أصبحت وسيلة الذم والتخوين والتجريح ونشر الشائعات.

أيها الإخوة الأحباء إذا كانت الديانات الثلاث الأساسية في العالم تدعى سماوية؛ هذا يعني أن موطننا هو الملكوت السماوي ويجب أن نعمل منذ الآن على إحلال هذا الملكوت في قلوب الجميع. قال الرب: ملكوت الله هو في داخلكم. السياسة والتعصب واستثمار المشاعر الدينية في إثارة العصبية والعزف على وتر التشدد والأصولية الدينية كلما أراد مسؤول الوصول إلى مآربه، لا تساعد في جعل الأرض تذوق مسبقا للملكوت.. علينا بث روح المحبة والتآخي والاسترشاد بمبادئ الدين والأخلاق مع عدم استغلال الدين في أمور السياسة. مطلوب أيضا أن نرسم مبادئ الحوار الحقيقي؛ أي صراحة: المحبة والصدق والانفتاح والشفافية، وهذه لا تتحقق إلا بالمحبة وتجاوز الأنانية ونبذ المصالح الشخصية واحترام الآخر وصون حريته وكرامته والتمني له ما يُتمنى للذات.

لقد خلق الله الإنسان في الفردوس حيث التناغم والمحبة منذ عصى الإنسان الأول الله، وراح يلهث وراء المادة ابتعد عن الله وخسر السلام والطمأنينة. كل عائلة هي جنه مصغرة، وكل وطن هو جنة صغيرة؛ ولكي يبقى جنة يجب أن تتوازن الاهتمامات فيه؛ فلا يمكن للسياسي أن ينسى الله، ولا يستطيع رجل الدين التغاضي عن اهتمامات أبنائه الحياتية. الدين عنصر أساسي وركيزة كل حوار؛ لأن أساس الدين هو الله العلي. وقال يوحنا: "الله محبة" فالأساس إذن هو: الله المحبة، الأساس لحياة كل إنسان، وإذا افتقد الحوارُ المحبة ابتعد عن الله.

كل إنسان يبغض أخاه هو إنسان لا يعرف الله حتى لو كانت يده ممدودة بالعطاء. الله ينظر إلى القلب لا إلى اليد، وساد الشر المتمظهر بكل أشكال العصبيات التي تلغي الآخر. نحن نتراجع في عالمنا العربي لأننا فقدنا الله وتمسكنا بالشعارات الدينية، الله لا يطلب منا لحاقا أعمى أو تطبيقا حرفيا لأنه يقول: "لأن الحرف يقتل ولكن الروح يحيى"، دعونا جميعا نستحضر روح الله في جميع حواراتنا واجتماعاتنا وسياساتنا واقتصاداتنا وتكنولوجياتنا وسيعم السلام والإخاء في العالم أجمع.

إننا نسمع القول حيث ما اجتمع اثنان أو ثلاثة. باسمي يقول الرب هناك أكون أنا في وسطهم والرب معكم.